كلمة العدد

راجع صورك القديمة

بقلم
د. محمود أبو العزائم
رئيس التحرير

خلق الله الإنسان وأعطاه كل مقومات النجاح لإعمار الأرض وميّزه على جميع الكائنات بالقدرة على التعلم والتقدم، وذلك باستخدام القدرات العقلية المميزة التى يستطيع الإنسان بها أن يكون خليفة الله فى الأرض لإعمار الكون والسعى فيه .
وإذا لم يكن للإنسان القدرة على تطوير قدراته باستمرار وأن يكون لديه المرونة الكافية فإنه يصاب بالإحباط والتوتر الذى يؤدى أحيانا إلى الشعور بالفشل واليأس وما ينتج عن ذلك من الأمراض النفسية المختلفة.
وفى العيادات النفسية تحضر الأسر لعرض مشاكلها على الطبيب النفسى علها تجد لديه المشورة أو الحل لتلك المشكلات. وقد حضرت إلىّ أسرة من أب وأم على درجة من الثقافة والعلم وكان بصحبتهم الابن الذى كان يبدو عليه أنه متململ من الحضور ودخل حجرة الكشف دون أن يلقى السلام أو يوجه نظره للطبيب، وقد بادر الأب الحوار قائلا:

- يا دكتور أرجو أن تساعدنا فى حل مشكلة ابننا الذى يبلغ من العمر ١٧ عاما، وهو طالب فى الثانوية العامة ولكنه غير منتظم فى الدراسة منذ عدة أسابيع ودائما ما ينام متأخرا ويقضى أغلب أوقاته أمام اللاب توب لمشاهدة الأفلام وعمل الشات مع الأصدقاء والزملاء وكثير من الوقت يقضيه مع الشلة خارج المنزل.

وهنا قاطعت الأم الحوار وتحدثت بصوت يغلبه نبرة الحزن وبعيون شبه باكية:

- يا دكتور ابننا لا يبدى أي احترام للأهل ولا يرغب فى مشاركتنا أى حوار ودائما منعزل عنا، وقد انهار سلوكه الأخلاقي أخيرا وأصبح يتلفظ بألفاظ نابيه ويسلك سلوكا غير سوى..وأخيرا اكتشفنا أنه يأخذ مبالغ مالية مبالغ فيها بحجة شراء ملازم دراسية وكتب ودروس خصوصية واكتشفنا أخيرا انه ينفق تلك المبالغ ولا يذهب للدروس الخصوصية ودائما ينفقها فى الخروج مع الشلة وتدخين السجائر ونشك أنه قد يكون قد جرب بعض المخدرات لأن أغلب الشله أهلهم يشتكون أنهم يتعاطون المخدرات.

وقاطع الأب الحوار مرة أخرى قائلا:

- يا دكتور انظر إلى ملابسه وطريقة حلاقته للشعر!! ... دائما ما يشترى الملابس الغريبة والبنطلونات الممزقة بحجة أنها آخر موضة.

وهنا ازداد تململ الابن وقاطع الحوار قائلا:

- هل هى محاكمة!!.. هل أحضرتمونى هنا لعمل جلسة تأنيب وتوبيخ .. أنا تعبت من تصرفاتكم معى وتدخلكم فى أمورى الشخصية وهذه الطريقة فاشلة وأنتم جيل رجعى متخلف ولن أكمل هذه الجلسة السخيفة...وهم بالانصراف .

وهنا طلبت من الأسرة الانصراف والجلوس فى حجرة الانتظار على أن يتركوا الابن معى بعض الوقت للحوار.

وبعد انصراف الأبوين سادت حجرة الكشف فترة من الصمت قاطعها الابن قائلا:

- **عاوز حاجة تانية منى يا دكتور ولاّ أقوم أمشى؟!.**

- عاوز حاجة واحدة منك قبل الانصراف ،هل لديك موبيل به كاميرا؟.

- نعم لدىّ أحدث أنواع الموبيلات ...سامسونج جلاكسى ٧ به كاميرا من أحدث وأفضل نوع.

- إذن أريد قبل أن تنصرف أن آخذ معك صورة سيلفى للذكرى.

- أنا لا أحب التصوير مع الغرباء ...أحب فقط التصوير سيلفى مع الأصدقاء والشباب فقط.

- ولكننى أرغب فى هذه الصورة للذكرى مع شاب من جيل جديد.

- إذن سوف آخذ معك الصورة بشرط ألا نتحدث بعد هذا السيلفى مجددا وأن انصرف بعدها.

وبعد أن قام الشاب بالتقاط الصورة طلبت منه أن أشاهدها.

- **هل تعرف الفرق بينى وبينك فى الصورة؟**

- نعم أنا شاب وأنت كبير فى السن.

- لا الفرق أننى أبتسم وأنت عبوس الوجه وغاضب.

- ولكننى أضحك وأبتسم مع الأصدقاء طوال اليوم.

- ولكنك لا تستطيع الابتسام والتعامل مع الأسرة والأهل، وهذا يدل على أنك ليس لديك القدرة والمرونة على التعامل مع مختلف أنواع البشر. وأنا أنصحك أن تنظر إلى هذه الصورة جيدا ، وأن تحتفظ بها للذكرى مدة عامين، إن كان لنا عمر- إن كان فى العمر بقية – فتعال لى وسوف أخبرك عن سر وأعلم أنك سوف تضحك كثيرا عندما تشاهد هذه الصورة.

- **ولكنى يا دكتور أشتاق أن أعلم هذا السر الآن!.**

- إذن أنت من يرغب فى استمرار الحوار .

- نعم.. ولكن رجاء ما هو سر هذه الصورة؟.

- هذه الصورة هى صورة الحياة المتجددة.. صورة كلٍ منا فى مراحل العمر المختلفة.. صورة تغير أحوال البشر منذ فترة الطفولة إلى مراحل الشيخوخة وتقدم العمر.. كلّ منا يعبر هذه المراحل ولكننا لا نرى هذا التغير بوضوح لأنه يحدث ببطء وباستمرار. إذا نظرت إلى صورتك وملابسك وأنت طفل سوف تضحك وتستغرب من شكلك ولبسك وكيف أنك فى يوم من الأيام كنت تلبس وتعتز بهذا المظهر .. وإذا راجعت أفكارك وطموحاتك وأهدافك فى فترة الطفولة وقارنتها بأفكارك وأهدافك وطموحاتك حاليا سوف تستغرب كيف أنك فكرت فى هذه الأوقات تلك الأفكار الطفولية والأهداف الساذجة وتشبثت بها . وكذلك يتغير الإنسان فى مراحل العمر المختلفة منذ أن كان طفلا ومنذ أن كانت له طموحات بسيطة.

- **ولكن يا دكتور ما هو المضحك فى الصورة؟.**

- المضحك فى الصورة وفى كل الصور التى تمثل مراحل الحياة التى نمر بها أن كلا منا يتشبث بأفكاره وأذواقه وطموحاته فى فترات الحياة المختلفة التى قد يراها الآخرون طفولية وغير ذات جدوى- مثل تمسك البعض بموضة الشعر الطويل أو الشعر المنكوش أو لبس الملابس الممزقة، ونراها بعد فترة من الوقت مضحكة وغريبة وكيف كنا فى يوم من الأيام نصر عليها. وهكذا يراك الأهل ويرون تصرفاتك ولكنهم يرونها بمنظار الكبار فى السن ولذلك يستغربون كيف أنك تتصرف تلك التصرفات الصبيانية الشاذة ولا ترى أنت أهمية التعلم والتصرف بلباقة ولذلك يحدث دائما الصراع بين الأجيال المختلفة بسبب نظرة كل إنسان للحياة بمنظاره الخاص حسب سنه.

■■■

ولذلك لكى يحدث الاستقرار والنمو النفسى للأبناء على الجميع أن يكون لديهم المرونة والذكاء والتسامح فى العلاقات الإنسانية ويحدث ذلك بعد وجود الألفة والمحبة والتغاضى والتقبل بين أفراد الأسرة حتى يحدث الاستقرار النفسى الذى يؤدى إلى نضوج الأبناء نفسيا واجتماعيا .